

العلامة شائسته جل، الملقب بمتي ملا و خدماته الدينية

والعلمية والسياسية

Religious, Literary and Political Work of ShÉistah Gul

* الدكتور ام سلمة

* ضياء الحق

ABSTRACT

This article highlights the religious, literary and political work of Moulana ShÉista Gul famous by the name of Mathe Mulla of Khyber Puktun Khawa (1303 A.H-1401A.H. 1886A.D-1981A.D MardÉn) He was well-known scholar of Qura'n, ×adith and Fiqah, his great contribution was to promote political awareness in the community with the concept of Two Nations Theory by his affiliation with Muslim League under the leadership of Quaid-e-AĐam Muhammad Ali JinnaÁ. He was the convener of Jamiat ul AÁfia which was organized by the eminent religious leaders of that time to implement Sharia law in Pakistan. He was devoted to make Islam a living reality during his life time, his literary work is aimed to improve human communication and develop a better understanding among the people of this region. His monumental work was originally in Pashto widely spoken and understood in the North West of Pakistan. He was teaching and preaching Islam nearly in a span of seventy years. The main objective was to alleviate the deteriorating conditions of the Muslim society and to defend it from external threats. He

* الاستاذة المشاركة بكلية جناح للبنات، جامعة بشاور.

** المحاضر والباحث المشارك بمركز الشيخ زايد الإسلامى جامعة بشاور.

emphasized to bring change and correct the wrong believes and detrimental actions. His theological doctrines influenced his followers and decedents who promoted his mission in the light of writings and ideas expressed by him.

.....

من خلال مطالعة كتب التراجم والتاريخ ينجلي أن إقليم خير بختون خوا، ولا سيما مقاطعة بشاور لم تتخلف عن سائر أقاليم باكستان. بل عن أقاليم الهند في ميدان إنتاج العلماء ذوي الخدمات العلمية الجليلة والخدمات الدينية والسياسية ذات الأثر البالغ.

وما توصلت إليه هذه الدراسة هو أن البعض منهم كانت تتنوع تخصصاتهم في شتى مجالات العلوم. أي كانوا متخصصين في جميع العلوم المتداولة في وقتهم وكانت لهم ملكة راسخة في كل فن من الفنون الرائجة في عصرهم ومن ناحية أخرى نجد البعض الآخر منهم متخصصا في علم و في فن من الفنون. كالفقه أو أصول الفقه بل ربما نجد من بينهم من كان متخصصا في كتاب من كتب الدراسة لعلم وفن خاص. ويقصده الطلبة لدراسة ذلك الكتاب من أقطار شبه القارة الهندية، ويتكبدون مشاق السفر لأيام وليالي كثيرة لأجل الوصول إليه. ومثال ذلك الاستاذ لال كاله بوكالة مهمند حيث كان متخصصا في تدريس كنز الدقائق في الفقه الحنفي، فكان الطلبة يتوافدون إليه لقرأة كنز الدقائق. وكذا في قرية "سينت" في ولاية سوات كان هناك متخصصا في تدريس الكافية في علم النحو هو الشيخ أيلي ملا الذي يأتي إليه الطلبة من كل فج لدراسة هذا الكتاب.

وخير مثال للمتخصصين في العلوم من علماء إقليم خير بختون خوا، ولاسيما من علماء مدينه بشاور، مولانا غلام جيلاني¹، فملاحظاته المدونة في مصنفات كتب المكتبة الضخمة تدل جلالة قدره بصورة واضحة، وأنه كان عالما لمختلف أنواع العلوم والفنون، مشتهرا في وقته.

ومن هذا الجليل يأتي اسم العلامة شائسته جل، والذي ستحدث عن شخصيته ومكانته العلمية والدينية والسياسية في هذه السطور.

مولده ومسقط رأسه:

ولد العلامة شائسة جل بن مُجَّد علي بن عمر دراز سنة 1303هـ في قرية لندی شامتي بمحافظة مردان في أسرة علمية، ونشأ فيها وترعرع.
دراسته:

لما بلغ سن الدراسة التحق بالمدارس التقليدية التي كانت تعتمد أساساً علي الدرس النظامي في مقرراتها، والحافظ له على ذلك هو كونه من أسرة علمية بالإضافة إلى توجيه أبيه الأمام الشيخ مُجَّد علي إياه، فدرس العلوم والفنون المتداولة في الدرس النظامي آنذاك، وأتقنها. ثم رحل بعد ذلك إلى العلماء المتخصصين، وتوجه إلى قرية لاله كالا² وتعلم الصرف هناك من عالم متخصص في الصرف هو لال كاله، وذهب إلى "أيلي" في بونير لقراءة الكافية في النحو لدى عالم ماهر في النحو هو أيلي ملا، فدرس عليه الكافية علي وجه الخصوص، وزاد عليها علم المنطق والفلسفة والكلام. ثم رحل إلى قاضي بدهني³، وتدرّب علي يديه في قواعد فن الإفتاء. وأخذ علم التفسير والحديث من الشيخ والعالم في داكي يارحسين⁴. ولم تتوقف رحلاته في طلب العلم من قرية إلى قرية ومن مدينة إلى مدينة في إقليم خير بختون خوا إلى أن شد الرحال إلى الهند وأخذ فيها علم الحديث عن الشيخ المحدث عبد العلي دهلوي⁵ وقرأ كتباً عديدة في الحديث علي الشيخ ماجد علي جونبوري. وتعلم علم القراءة علي الشيخ عبد السلام بن المقرئ عبد الرحمن بابي بتي⁶.

خدماته العلمية والدينية:

أكمل العلامة شائسة جل دراسته حين كان في الثالث والعشرين من عمره، وبعد الفراغ من الدراسة اشتغل بخدمة العلوم الشرعية، فعكف علي تدريس تلك العلوم التي أتقنها وسرعان ما أصبح محاطاً بالتلاميذ في كل وقت. وبلغت شهرة تبحره في العلوم إلى جميع نواحي إقليم خير بختون خوا من شكثر، واسمار، وسوات، وشتال، بل إلى خارج إقليم خير بختون خوا من كابل وجلال آباد وغيرها. وهكذا اتسعت دائرة تلامذته، ولم يكن الشيخ شائسة جل مكتفياً بتعليم الطلبة فحسب، بل إلى جنب ذلك ركز علي إرشاد عامة الناس من غير المثقفين ودعوتهم إلى الدين القيم، فيعظهم بوعظ ترق منه قلوب المستمعين وتدفع منه أعينهم، وبذل أقصى جهوده للقضاء علي البدع. وكان يدعو تلامذته بمحاربة البدع.

يقول الشيخ محمد أمير شاه قادري جيلاني: "بدأت قراءة الكتب من مرشدي، وفي بداية كل كتاب كان يدعو بهذا الدعاء: (اللهم اجعله عالماً ليتهدي به الذين ضعف اعتقادهم)⁷.

واهتم شائسته جل طول حياته بخدمة العلم والدين أينما حل ونزل ورزقه الله تعالى من الأبناء الصالحاء الذين سلكوا دربه و قاموا بنشر فيوضه بعد موته، فأنشأوا المدارس والكتاتيب لنشر العلوم الإسلامية.

فنجله عبد الحنان أسس مدرسة دار العلوم المعينية بعد أن روى من علوم أبي البركات سيد سعيد أحمد شاه الكاظمي، ومن الشيخ أبي البيان غلام علي أوكاروي وحصل علي الإجازة في علم الحديث.

وابنه الثاني عبد السبحان المتخصص في العلوم العقلية والنقلية، قام بإدارة دار العلوم الحنفية السنية القادرية والتي قام فيها أخوه عبد الحنان بالتدريس وإرشاد الناس.

وكذلك ابنه المسمى فضل سبحان، الذي درس في دار العلوم أبجدية كراتشي، والذي حصل على شهادة التخصص في القرآن والحديث من الجامعة الإسلامية بمحاول بور. أنشأ مدرسة باسم دار العلوم القادرية الواقعة على الشارع العام ب غداده بمقاطعة مردان كانت تدرس فيها تحفيظ القرآن وعلم التجويد الى جنب مختلف العلوم الإسلامية.⁸

خلف الشيخ ورآه من الأولاد والتلامذة الذين اقتفوا أثره بعد وفاته كما ترك من الآثار والمؤلفات المفيدة في شتى المجالات العلمية والتي ستبقى نبراسا يضيئ الطريق في سماء آت العلوم والمعارف لمن بعده من أهل الاسلام.

وعدد هذه الرسائل يبلغ 450 رسالة تتناول قضايا دينية مختلفة معظمها باللغة العربية، ظهر بعضها للعيان بعد الطباعة والبقية مازالت موجودة بصورة المخطوطات. وفيما يلي نذكر بعض تلك الرسائل:

1. مطالب القرآن، رسالة صغيرة في بيان مطالب القرآن.
2. مرآة القرآن، رسالة في تفسير قواعد القراءة والتجويد.
3. مضامين القرآن. كتيب يحيط بموضوعات قرآنية مختلفة.
4. حاشية مدارك التنزيل، رسالة في تحليل مواضع الصعبة لمدارك التنزيل وفيها تفسير شامل لعقائد أهل السنة والجماعة.

5. مجموعة الفتاوى، رسالة تضم أجوبة عن الاستفتاءات الواردة على الشيخ من حين لآخر.

خدماته السياسية:

أما خدمات الشيخ شائسته جل السياسية، فهي أيضا كثيرة وجلييلة كخدماته العلمية. وبما أن الاسلام لا يري الفارق بين الدين والسياسة، بل ان كل واحد منهما يتكامل مع الآخر. فعلى هذا الأساس كان يري الشيخ أن تنفيذ جزئيات الدين الحنيف لا يمكن الا بالسياسة، وكذلك السياسة لا تؤتي ثمارها الا إذا كانت مستقاة بالشرعية الاسلامية. ومن هنا نرى أن الشيخ ما غاب عن مشهد السياسة في عصره بل ساهم في القضايا السياسية مساهمة فعالة. فبذل جهوده الجبارة في سبيل الحرية من الاستعمار الإنجليزي مع خان عبد الغفار خان في حركة "خدائي خدمتكار" وعندما انضم عبد الغفار خان الى حزب "كونغرس الوطني الهندي" انعزل الشيخ من حزب حركة عبد الغفار خان وقام بتأييد مُجد أمين الحسنات بير صاحب مانكي شريف⁹. الذي قد أسس جمعية الأصفياء¹⁰ تضم عددا من العلماء والمشايخ والتي قد شاركت فيما بعد مع الجماعة الاسلامية في مطالبة قيام دولة باكستان وقد جاء هذا القرار بعد جلسة تشاور لعدد من العلماء ورجال الدين تحت رئاسة بير صاحب جوره شريف. واتفقوا على مساندة الجماعة الاسلامية في موقفها في مستقبل المسلمين في الهند. وكانت هذه الجمعية تهدف الى تنفيذ الشريعة الإسلامية في دولة باكستان بعد تأسيسها والذي كان أحد الأسباب لتقسيم الهند. وقد وافق مُجد على جناح قائد الجماعة الإسلامية ولياقت على خان في تنفيذ هذا الهدف مع جمعية الأصفياء حيث تم توقيع الاتفاقية من الطرفين وهذه الوثيقة الآن موجودة ومحفوظة في مانكي شريف.

وبعد هذه الإتفاقية قام الشيخ شائسته جل بتكثيف جهوده السياسية وحملاته المؤيدة للجماعة وبدأ يتجول في كل أرجاء القارة الهندية داعيا المشايخ والعلماء إلى تأييد الجماعة الاسلامية في فكرة تأسيس دولة باكستان، وفي نهاية التجوال قدم شائسته جل التقرير المفصل عن انجازات تلك الأسفار. وبعد تأسيس دولة باكستان لما تم تعيين عبد القيوم خان كبير مجلس الوزراء في إقليم خيبر بختونخوا، بدأ الشيخ بإرسال خطابات إلى كبير الوزراء عبد القيوم خان لإقليم خيبر بختونخوا والتي طالب فيها بتنفيذ الشريعة الإسلامية، حتى ذهب إلى كوهات لاجتماع الجماعة الاسلامية، وذكرهم بما وعدوه به، لكن الجماعة الاسلامية وحكومتها لم يوفوا بهذا الوعد،

بل حبسوه، ثم حكموا عليه بالتغريب عن الوطن لإحدى عشر شهراً. فيئس الشيخ من الجماعة الإسلامية بعد ما خانوه، وانشق عن هذه الجبهة، وأسس في قرية ماني زئي ب مردان جمعية العلماء الأحناف دعا¹¹ إليها العلماء المعروفين، وكان من أهم ما قام به هذه الجمعية هو أن العلماء اجتمعوا وكتبوا رسالة قيمة في مدة شهر بينوا فيها عقيدة أهل السنة والجماعة. وردوا على عقائد باطلة في ضوء القرآن والسنة.

وبما أن الشيخ كان موهوباً بالصفات القيادية جعله مولانا عبيد الله سندهي¹² أمير الحجاج في عام 1950ء الموافق 1370هـ. وأثناء سفره إلى الديار المقدسة مع الحجاج أفنى الشيخ في بعض المسائل المتعلقة بالحج وقد دونت تلك القضايا تحت اسم "استفسارات الحج" كما كتب عما جرى بينه وبين إمام الحرمين عبد المهيمن المصري من لقاءات ومناقشات في رسالة مستقلة. وقد طرحت عليه بعض المسائل العقائدية والسياسية والاجتماعية في جلسة لعلماء العرب وأعجبت علماء الحجاز بإجاباته المقنعة وقدرته على اللغة العربية.¹³

وأفنى الشيخ شائشة جل عمره في خدمة العلم والدين كما خاض معارك سياسية لتطبيق الشريعة عملياً في البلاد. ولم يتراجع عن موقفه قيد شبر طوال حياته.

قال عنه الشيخ سيد محمد أمير شاه قادري الجيلاني: "كان الشيخ شائسته جل حجة الإسلام، قمر الدجى وشمس الضحى، الثقة الثبت، الحجة، البارع، التقى النقي الورع الفارس في العلوم والسياف الصارم المسلول في الفكر والحرير، قائماً بأمر الدين، ذا الهمة والشجاعة والإقدام، فائق علماء زمانه ومجتهد أوّانه."¹⁴

وفاته:

بعد حياة ذاخرة بنحيرات حسان آن الأوان بمقابلة الريان حيث توفي العلامة شائسة جل في اليوم الخامس من رمضان سنة 1401هـ الموافق يوم الثلاثاء 1986م في وقت صلاة الفجر.¹⁵

الهوامش:

¹. هو الحافظ غلام جيلاني بن الحافظ حبيب، سلسلة نسبه مكونة من العلماء وكان من سكان حتي آسيا في مدينة بشاور. وكان من علماء القرن الثالث عشر الهجري وكان عالماً

- متبحرا. ويعلم تبخره في العلم من ملاحظاته المدونة على أكثر كتبه في مكتبة الحكمة.
انظر لباب المعارف الإسلامية لعبد الرحيم. ص 98، ط اخبار آكره.
- ². قرية في محافظة بشاور تقع في الشرق من مدينة بشاور علي جانب الشارع العام الحكومي، وهذا العالم كان خليفة الحافظ عبد الغفور المعروف بصاحب سوات رحمه الله، والف شرحا علي مفتاح الصرف وزدادي. انظر المرجع السابق، ص 231.
- ³. كان علماً متبحراً، وكان في درسه كل وقت حوالي مائة وخمسين طالبا. انظر المرجع السابق، ص 231.
- ⁴. كان علماً متبحراً في العلوم العقلية والنقلية الف شرحا علي المبتدي في الحكمه.
- ⁵. انظر تذكرة علماء هند، مولوي رحمن علي ص 579، ط- باكستان هستاريكل سوسائتي كراتشي، 1941م.
- ⁶. كان استاذ القراء، وصنف رسائل في علم القراءة: انظر: المرجع السابق: ص 579.
- ⁷. انظر: علماء ومشائخ سرحد، ج 2، ص 230، 232.
- ⁸. انظر: غازي بير مير احمد خان صوفي: ص 282، ط-جدون بريس بشاور، 1987م.
- ⁹. انظر: غازي بير مير احمد خان صوفي، ص 282، ط- جدون بريس بشاور، 1987م.
- ¹⁰. المرجع السابق، ص 133.
- ¹¹. انظر: علماء ومشائخ سرحد، ج 2، ص 234.
- ¹². هو العالم الفاضل في شبه القارة الهندية، بعد اكمال العلم ارتحل إلى كابل، وأسس لجنه القومية الهندية (كانكريس) في افانستان، ثم انغم إلى اندين نيشنل كانكريس. انظر اسلامي انسائكلوبيديا لسيد قاسم محمود، ص 1059، ط- شاهكار بك فاؤنڊيشن.
- ¹³. انظر: علماء ومشائخ سرحد، ج 2، ص 234.
- ¹⁴. انظر: المرجع السابق، ص 230، 232.
- ¹⁵. علماء ومشائخ سرحد، لسيد محمد أمير شاه قادري، ج 2، ص 23، طبع عظيم بيلشنك هاؤس، 1972م.